مجلة منتدى الأستاذ

المجلد: 18 العدد: 01 السنة: ديسمبر 2022 الصفحات 280- 290

السياق المعرفي والمرجعية الفكرية للكتابة الشعرية عند محمد بنيس

The Cognitive Contextuality and Intellectual Reference in the Poetry of Mohamed Bennis

عبد العزيز بلخوجة[1]، * محمد حمودي[2]

[1] جامعة عبد الحميد بن باديس/ مستغانم (الجزائر)، belkhodjaaziz9@gmail.com

[1] جامعة عبد الحميد بن باديس/ مستغانم (الجزائر)، hamoudi.med@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022 /04/21 تاريخ القبول: 2022 /11/21

الكلمات المفتاحية:

السياق المعرفي؛

المرجع الفكري؛

الكتابة الشعرية؛

محمد بنيس؛

الملخص:

لقد سعى محمد بنيس إلى رسم حدود الكتابة الشعرية التي أعطت أهمية كبرى لماهية الشعر، ومقاييسه الجمالية والفنية الجديدة المتمردة على كل شكل قديم كقضية وإشكالية نقدية لابد من الوقوف على كل تفاصيلها الدقيقة، وهو ما جعله يؤسس للحركة النقدية الحديثة في الشعر العربي عامة و المغربي خاصة، وينتج خطابا نقديا يعظم خصوصية الإبداع الأدبي، ويبتعد عن أي سوء فهم له، ويبتعد كذلك عن إخضاعه لأي منهج نقدي لا يتناسب معه، ليكون النقد عنده جزءا من العملية الإبداعية.

Keywords:
Cognitive context, Intellectual reference, Mohamed Bennis, Poetic writing,

ABSTRACT:

Mohamed Bennis sought to draw the boundaries of poetic writing which gives great importance to the quality of poetry and its new aesthetic and artistic standards that is rebellious in every old form which is a problematic issue to be identified. The latter made him establish the modern critic movement in Arabic poetry in general and Moroccan in particular and produce a critical speech that greatly maximizes the specificity of the literary creativity, avoids any in its misunderstanding, and also departs from subjecting it to any critical approach that does not fit with it, so that criticism would be part of the creative process.

* عبد العزيز بلخوجة

مقدّمة:

لقد تصدر **محمد بنيس** المشهد النقدي في المغرب بكتابه "ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقاربة بنيوية تكوينية" والذي طرح فيه إشكالية المنهج ووعيه للكتابة، وقد تبنى فيه الأسس التي تعتمد عليها البنية في الشعر لمعرفة الماهية أو الأصل، كما أن كل مقاربة واعتماد على منهج في العملية النقدية تتطلب مـــن صاحبها إدراكاً، ومعرفة بالآليات التي يعتمد عليها المنهج المحدد ومدى مواءمتها للنصوص التي تتعامل معها، وقد حاول **محمد بنيس** تجديد المناهج النقدية من خلال الإطلاع على ما أنتجه الفكر الغربي الحديث، مع مراعاة القيـم الثقافية التي ساهم فيها النقـاد فـي الفـكر العربي وحاول تطويرها، ولا يخفى أن التعامل مع المناهج النقدية يراعي الخصوصيات الثقافية والاجتماعية و التكوين النفسي.

1- الشعرية في نقد محمد بنيس:

يرى **محمد بنيس** "أن الكتابة هي مغامرة تغوص في الباطن لتصل إلى المطلق فاتحة نوافـذ ومسالـك جديدة لم يسبق اكتشافها، فهـي بحث عن عالم مغاير في النص و بالنص، بالتحرر و التحول إلى واقع يمجد الخروج عن المألوف، ليصبح عمل الناقد محصوراً في الكشف عن الرؤية المختبئة بمهارة خلف الكلمات"[1] و**محمد بنيس** يعتبر الشعر يعتمد على الرؤيا التي تعطي للنص الاستمرارية واللانهائية.[2]

يهدف النقد عند **محمد بنيس** إلى تفكيك المفاهيم والتصورات، سواء داخل الشعر أو خارجه اعتماداً على التحليل العلمي للوقائع، واستناداً على الواقع الإنساني، ليمحي كل المتعاليات التي تسلب وتنزع من الإنسان قدرته على الفعل[3]، فهناك من النقاد من يركز على الإبداع الأدبي من خلال صورة صاحبه، وهنا يركز على الجانب النفسي، وهناك من يهتم به من خلال اعتباره صورة للواقع الاجتماعي، وهذا يسمى بالمنهج الاجتماعي، وهناك من يركز على العمل الإبداعي مستقلاً عن المبدع و المجتمع بالتركيز على الجانب الفني، مما ينتج عنه أن النقاد يحاولون إخضاع المناهج النقدية المتعددة للعمـل الإبداعـي، وكل «نقد للبنيات الاجتماعية والتاريخية كما ورثناها عن الاستعمار في علائقها الطبقية والعرفية والإقطاعية خارج إطار المتعالي ليس نقداً، فالنقد إما أن يكون شاملا أو لا يكون»[4]، والإبداع خطاب أول وسابق، والنقد خطاب ثانٍ لاحق يتناول الإبداع بالقراءة الواعية، هو لا يتناقض مع الإبداع ولا يلغـي وجوده الثقافي، بل يستمد مقوماته منه[5]، والنقد المغربي لم يظهر ويتطور وهو معزول عن الخطابات الأخرى، بل بني على أنساق إبداعية وفكرية، وهي التي دفعت **محمد بنيس** إلى التأسيس لكتابة جديدة سواء في بيانه "بيان الكتابة" أو"حداثة السؤال" والتي انطلق فيها من رؤيا إبداعية سعت إلى إحداث التغيير.

إن الكتابة إبداع لابد من مساءلتها، تلك المساءلة التي تنطلق من المتغيرات النظرية التي تخضع لها الكتابة الإبداعية كنسق خاص له أسسه، فالمجتمع يخضع لسلطـة التغيير والتمرد، وكذلك الكتابة التي عليها أن لا تقف عند حدٍ مفترض أو مفروض، لأنها تسعى إلى اكتشاف أفاقٍ جديدة، وهو ما يجعل "النص الشعـري يتمنع على اختزال أضلاعه، ودلالته متمنعة أيضا"[6]، ولكن لابد من إخضاعه للقراءة، وقد حاول **محمد بنيس** قراءة الإبداع

الشعري العربي الذي مر بمراحل مختلفة، وخضع لتغيرات مستمرة سواء على مستوى الشكل أو المضمون، وقد أكد على أن النقد في المغرب هو ممارسة قرائية للنصوص الإبداعية بعيداً عن استدعاء خلفية توظف مفاهيم الممارسة الإبداعية،فهناك من يعترض لمن يقرأ ما يشتغل البياض... إن سنة الشعر في المغرب هي الإنشاد وتلك سنته في عموم العالم العربي، وما عداها ليس إلا تبريراً أجنبيا عنا"[7]، فأقام **محمد بنيس** حواراً معرفياً لبناء شعرية عربية مفتوحة "تبدأ سفرها اللانهائي في الخطاب الشعري العربي القديم والحديث"[8]، وقراءة الشعر العربي هي عملية استقصاء لكثير من القضايا المتجددة والإبدالات النظرية في سياقات محددة فرضتها الحداثة الشعرية، والتي لم يكن لها أن تأخذ ما أخذته من أهمية لو لم تصاحبها حركة نقدية نشيطة تناولتها بالدراسة والبحث والقراءة[9]، هذه القراءة تكشف عن خبايا النص وتوجه الكتابة سواء بفتح التأويل أو استدعاء المناهج.

2- المنهج النقدي عند محمد بنيس:

لقد تصدر **محمد بنيس** المشهد النقدي في المغرب بكتابة كتاب "ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقاربة بنيوية تكوينية" والذي طرح فيه إشكالية المنهج ووعيه للكتابة، وقد تبنى فيه الأسس التي تعتمد عليها البنية في الشعر لمعرفة الماهية أو الأصل، كما أن كل مقاربة واعتماد على منهج في العملية النقدية تتطلب من صاحبها إدراكاً، ومعرفة بالآليات التي يعتمد عليها المنهج المحدد ومدى مواءمتها للنصوص التي تتعامل معها، وقد حاول **محمد بنيس** تجديد المناهج النقدية من خلال الإطلاع على ما أنتجه الفكر الغربي الحديث، مع مراعاة القيم الثقافية التي ساهم فيها النقاد في الفكر العربي وحاول تطويرها، ولا يخفى أن التعامل مع المناهج النقدية يراعي الخصوصيات الثقافية والاجتماعية والتكوين النفسي.

2-1- المصادر العربية:

إن النقد العربي المعاصر رهين بقراءة النقد العربي القديم فهو يسير في دائرته؛ إذ هما يشتركان في كثير من النقاط والقضايا، كما أن كليهما تميزا بالاتساع والتراكم، وقد اعتمد **محمد بنيس** وهو يؤسس للحركة النقدية على الكثير من المصادر العربية قديمة وحديثة، والتي أمّدته بكثير من التصورات والآراء؛ إذ تقاطع مع النقاد العرب في قضايا متعددة، فقد حاول **محمد بنيس** قراءة التراث النقدي العربي، وحاول مساءلته بالتأمل فيه ومراجعته بما يتماشى مع الفكر الحداثي الذي يعارض الكثير من القضايا القديمة والتي لم تعد لها القابلية، ولكن تلك المفاهيم الشعرية القديمة شئنا أم أبينا رسخت عبر الزمن في الشعرية العربية، وأوجدت لنفسها مساحة في النقد الحديث، لأنها "تتشخص في المعرفة التي توجه القراءة وتضبطها، هذا المفهوم مازال فاعلاً في راهن النقد العربي"[10]، فهو قد نهل من منابع فكرية نقدية عربية قديمة وحديثة.

لقد كان **محمد بنيس** شاعراً مجيداً وناقداً حصيفاً، فهو في دراسته للشعر العربي اعتمد على مرجعيات وآراء نقدية سبقته وعايشته في الزمن من خلال جهود النقاد العرب القدماء والمحدثين وظهر تأثره بهم، وبتتبع منجز **محمد بنيس** يتجلى توظيف الموروث النقدي العربي في تأسيس المشروع النقدي الحداثي عند **محمد بنيس**، خاصة في قضية التناص ذلك أن الشاعرية العربية القديمة قد فطنت لعلاقة النص بغيره من النصوص منذ الجاهلية، حيث

هناك قراءة أولية لعلاقة النصوص ببعضها وللتداخل النصي فيها" [11]، فالتناص كمفهوم نقدي حداثي عرفه الدرس النقدي العربي القديم بمفاهيم مختلفة فمرة بمفهوم "السرقات الأدبية" ومرة بمفهوم التضمين والاقتباس، وهذا ما يؤكد على أن الفكر النقدي القديم "حافل بالنظريات والإجراءات التطبيقية، ومن العقوق أن تضرب صفحاً عن الكشف عما قد يكون فيه من أصول النظريات نقدية غريبة تبدو لنا في ثوب مبهرج بالحداثة"[12]، فالنقاد القدامى استعملوا التناص بمفهوم أخر، وهو ما يدل على تجذر المفهوم في وعي النقاد العرب القدامى، والذي اتخذ مسميات متنوعة، ولعل أقرب مفهوم وظفه هؤلاء هو قضية السرقات الأدبية، والتي كانت إما على مستوى الشكل أو المضمون أو معاً[13]، وذهب **محمد بنيس** إلى التفريق بين مفهومي السرقة والإجبار، انطلاقا من مفهوم التناص ، ذلك أن النقاد العرب فرقوا بين اللغة والأسلوب من جهة، وبين الخطاب من جهة أخرى، لتصبح الأولى سرقة بينما الثانية إجبار الذي يعد مهماً في بناء الخطاب.

يرتبط الفكر النقدي الحديث بالفكر النقدي القديم ويتصل به، فبالعودة إلى التراث النقدي نستجلي بعض الغموض ونضيف استمرارية لكثير من القضايا بالتوسع فيها، كما أنه بالعودة إليه نقف على ما فيه "من بذور لمثل هذه المسألة وسواها أيضا كثير لا يتأتى لنا أن نسهم في إنتاج نظرية قائمة على التحاور والتطلع إلى إثراء حقول المعرفة الإنسانية"[14] و**محمد بنيس** واحد من النقاد الذين أقاموا علاقات واعية بين فكره الحداثي والموروث النقدي العربي، إذ اعتمد كثيراً في منجزة النقدي على ما جاءت به خزائن النقد العربي القديم، وقد استفاد كثيراً من أشعار **محمود سامي البارودي** و**الجواهري** و**أحمد شوقي** خاصة في حديثه عن مرحلة التقليدية، لينتج كثيرا من الكتب النقدية التي أثرت الساحة النقدية العربية، فتقاطع "ذوقه مع كثير من النقاد الشعراء كا**بن المعتز** و **أبيتمام** في اختياراته و كتاب الشعرية المعاصرين مثل أدونيس..."[15] ونجد أن **محمد بنيس** قد تقاطع مع **حازم القرطاجي** عندما تحدث عن قضية الوزن والقافية والإيقاع والبيت الشعري، فحازم يعرفه "بمقدار يساويه في الوضع و الترتيب زادت النفس ابتهاجاً بذلك"[16] بينما **محمد بنيس** يرى أن البيت هو مجموعة "الوحدات و الأنساق الوزنية و القافية بناء البيت على أساس الاعتدال والاستواء"[17].

كما يظهر تأثر **محمد بنيس** بالناقد **ابن طباطبا**، و تقاطع معه عندما تحدث عن أسبقية المعنى على الوزن، وعلاقة الوزن والقافية بالإيقاع، و مدى انسجام الأبيات فيما بينها، ذلك أن النقد الحديث والمعاصر أعاد تصفية الحساب مع الأرضية المتعالية التي ينحفر فيها خطاب الشعرية التقليدية"[18]، فقد قرأ وتذوق **محمد بنيس** النقد والأدب العربي واطلع على ما تركه النقاد العرب القدامى، وكما اشترط **ابن طباطبا** على المتلقي للخطاب الشعري امتلاكه للفهم الثاقب حتى يتمكن من إدراك الجمالية الشعرية، فهو "يتوصل به إلى نظمه وتقريب ذلك إلى فهمك، والتأني لتيسير ما عسر منه عليك"[19]، هذا التلقي له أهميته الجمالية و الفنية، والتي تتماشى مع التفاعل والحالة النفسية، لأن الإلقاء مرتبط بحضور القلب والإحساس، وهو ما أكده **عبد القاهر الجرجاني** للوقوف على دقائق الصور و ما فيها من لفظ ومعنى[20]، كما تطرق **الجرجاني** في كتاب "أسرار البلاغة" إلى قضية التخييل

والاستعارة معتبرا التخييل إثبات الشاعر أمراً غير ثابت، ويدعي دعوة لا يمكن تحصيلها، و**محمد بنيس** يرى أن الاستعارة مرتبطة بالقرآن، والتخييل يتصل بالشعر، وهذا عندما ربط بين الشعر الصوفي عند **ابن عربي** وقصيدة النثر[21]، فساءل **محمد بنيس** في كتبه النقدية المواقف النقدية القديمة وحللها بما يتلاءم مع النقد الحديث.

لم يكتف **محمد بنيس** بالمنجز النقدي العربي القديم، بل اتجه كذلك إلى التجارب النقدية الحديثة واطلع على الممارسات النقدية الحداثية المؤسسة لحركة التجديد في الشعر العربي الحديث، و من بين الدراسات التي ارتبط بها والتي كان لها أثرها الكبير في صياغة أفكاره النقدية، اطلاعه على نقد **محمود عباس العقاد لأحمد شوقي** في حديثه عن أزمة الشعر، وتطرق إلى "التفكك والإحالة والتقليد والولوع بالأغراض دون الجواهر وهذه العيوب هي التي صيرتهم أبعد عن الشعر الحقيقي"[22] كما تأثر كثيراً بما جاءت به **نازك الملائكة** ليستلهم منها مصطلح الشعر المعاصر والأسس النقدية للشعر الحر باعتباره مجموعة "القوانين العروضية التي يسعى الشعر نحو التحرر منها"[23]، كما اطلع على آراء **أبي القاسم الشابي** مع أنها لم تعد تتلاءم مع "روحنا الحاضرة ولمزاجنا الحالي ولأميالنا ورغباتنا في هذه الحياة، فقد أصبحنا نرى رأياً في الأدب لا نمثله ونفهم فهماً في الحياة لا نجده عنده ونطمح بأبصارنا إلى أفاق أخرى"[24]، كما أن **لكمال أبو ديب** أثر في آراءه النقدية خاصة في الحديث عن البنية الإيقاعية؛ إذ أخذ منه التفريق بين الوزن والإيقاع واعتماد "قراءة نبرية أوسع من العروض الكمي (الخليلي) المعتمد على التفعيلة"[25].

سحر **أدونيس** بأعماله الإبداعية و النقدية **محمد بنيس** حتى جعله رهيناً في عالمه، لتتطور العلاقة حتى تصل مرتبة الصداقة في الحياة والشعر والنقد، فكان كل عمل جديد "يصدر لأدونيس عبر الثلاثين سنة بكاملها بالعربية أو مترجماً إلى لغات أخرى، كان دليلي إلى فرح جديد"[26]، ولأن **أدونيس** له قيمته الفنية في الحركة النقدية العربية فقد تأثر بما دعى إليه **أدونيس** في قضية "الكتابة الجديدة" التي لا تعتمد على نموذج معين بل تعطي الأولوية لثقافة الشاعر و تعامله مع النص الإبداعي بعيداً عن السياق الاجتماعي مقدسة القيمة الفنية والجودة.[27]

لقد حلل **أدونيس** أزمة الشعر العربي ليصل إلى أن عصر البداوة هو الذي يوجه النتاج الشعري، وما الشعر العربي الراهن إلا استطراد للشعر في عصر النهضة، وتتبع **أودنيس** خطاه «فمنذ أكثر من ربع قرن وأنا أنصت إلى **أدونيس** وأتعلم مصاحبته تلك هي الفترة التي تفصلني عن مراهقين»[28]، وبالتالي كانت كل آرائه النقدية محاكاة **لأدونيس** كما يظهر في فهم **بنيس** للعملية الإبداعية و اعتماده على كثير من المصطلحات التي استخدمها **أدونيس** كالمغامرة والتجربة والإيحاء والترميز، ليجعل كلاهما المغامرة قاعدة أولى يبنى عليها الإبداع، كما أكد على أن شعرية الإيقاع تدرس النص في إطار بنية متداخلة[29] يقوم عليها مشروع الشعرية العربية المفتوحة.

2-2- المصادر الأجنبية:

إن تأسيس النقد الحداثي العربي اعتمد على المثاقفة خاصة مع الحضارة الغربية التي أكثر النقاد في توظيفها، مما جعل الآراء الفلسفية و التوجهات الفكرية تؤثر في تكوين الفكر النقدي العربي الحديث سواء باستلهام المناهج النقدية أو النظريات الأدبية، وكان إطلاع الناقد هو همزة الوصل بين النقد العربي والغربي حتى يساير الحداثة، ومن

المعلوم أن الحداثة العربية نشأت في اتصال مع الحداثة الأوروبية، فالحديث عن الوقائع الثقافية الحديثة أو عن الثقافة العربية في وقتنا الحالي اختيار للرؤية الملاحظة للوعي النقدي، لذلك "أحس بارتباط شديد يشدني إلى أولئك الذين شيدوا منذ القرن التاسع عشر عهداً ثقافياً عربياً جديداً، يختلف عما كانت عليه الثقافة العربية في زمنها القديم"[30]، هذه الحداثة التي لا يمكن إدراك حقيقتها إلا بإرجاعها إلى السياق الغربي الذي أنشأها حتى نستطيع تحديد الاستراتيجيات والآليات الشعرية للحداثة العربية حتى وإن فرض النموذج الغربي نفسه على النموذج العربي.

يرى معظم النقاد أن الفكر النقدي عند العرب المحدثين حافظ على هويته وكان يستمد مقوماته من التراث، حتى جاء جيل من النقاد دعا إلى الأخذ من المناهج النقدية الغربية وذلك بتفادي المقولة القائلة أن النقد القديم وصل إلى ما يمكن الوصول إليه حديثاً من قضايا وآراء، كل هذا أوجب الانفتاح على الغرب وتجاوز ما هو كائن، و**محمد بنيس** قد تذوق الأدب العربي بالاطلاع على ما كتبه النقاد الغربيون "فعلاقتي بالحداثة الغربية الأوربية والفرنسية أو الأمريكية، فأتوقف عند نقاط مرجعية، كنت أحلم منذ طفولتي بأن أذهب مثل الأطفال الغربيين إلى المدرسة والمسرح والسينما والأوبـرا والمتاحف... لقد كنت على يقين بأن تعلم هـذه الثقافة سيقدم لي فرصة لتقاسم الحياة مع النفوس وانخرطت بدون تردد في الحداثة في أدبها وفي فكرها وفنها، لكن المضيء نحو هذه الحداثة لم يكن ميسوراً، لقد كان صراعاً لا هوادة فيه ضد قيم الهيمنة في مجتمعي وصراعاً ضد ما يمنعه الغرب في علاقتي المباشرة مع الحداثة"[31] ليدخل بذلك في حوار مع الشعريات الغربية سواء بالانفتاح على شعرية مالارمية أو بودلير أو إزرباوند وقراءتها قراءة واعية مستفيظة.

نهل **محمد بنيس** وهو يؤسس لفكره النقدي من مناهل فكرية غربية لتميل ممارسته النقدية إلى الثقافة الغربية، وقد استضاف الكثير من المفاهيم الشعرية من التطبيق الغربي إلى التطبيق العربي ليبلور رؤيته النقدية الحداثية انطلاقاً من المؤثرات الأجنبية "ووجد نفسه مضطراً إلى التعامل مع النص الأدبي وفق تجربة نقدية وظفت المفاهيم الغربية"[32] سواء مع محتمل **نيتشه** وغائب **جورج باطاي** و مجهول **موريس بلانشو**، ورغم أن النظريات والمناهج النقدية الغربية ولدت في بنية مختلفة عن البنية التي نشأ فيها **محمد بنيس** إلا أنه حاول أن يوائم بين تلك النظريات والآراء في مشروعه النقدي، فلم تكن "الدراسات النقدية ذات المناهج الجديدة قد بدأت تتوافد علينا حتى قدم **محمد بنيس** عمله النقدي ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقاربة بنيوية تكوينية وقد بين أسباب اختياره واهتمامه بالشعر المغربي المعاصر و تبنيه المنهج البنيوي التكويني لأن القراءة في هذا المنهج تجري من داخل المجتمع"[33].

3- حداثة المصطلح النقدي عند محمد بنيس:

مع بداية الستينات بدأ الاطلاع على المناهج الغربية وتبنى **محمد بنيس** من هذه المثاقفة البنيوية التكوينية التي تجمع بين الفهم والتفسير لتعقد تماثـلا بين البنية الجمالية والوظيفة المرجعية للشعر، فالبنيوية التكوينية في تحليلها انطلقت من البنية الداخلية التي تسمى بمرحلة الفهم وهي أساس قراءة النصوص وكشف نسقها و ربطها بالبنية الفكرية والاجتماعية [34]، وجاء تعامل **محمد بنيس** مع النصوص الأدبية انطلاقا من أسس المنهج البنيوي

باستيعاب شروط النص الإبداعي كوحدة لكل التناقضات المترتبة عن الربط بين ما لا يمكن ضبط علاقته بين فصائله في اللغة وقراءة **محمد بنيس** وفهمه للعمل الإبداعي "تمر عبر تحليلات البنية السطحية العروضية واللغوية والدلالية ثم تدمج هذه البنيات الجزئية للوحدات الدالة في بنية أكثر اتساقاً كي يتسنى تركيب البنية العميقة للمتن من أجل الكشف عن النواة الحقيقية للنص وهذا الكشف مشروط بقدرة الباحث على الربط بين قوانين القراءة لنص الواقع وبين الواقع نفسه"[35] فالوصول إلى الجمالية التي تميز الشعر يبدأ من الأبنية التعبيرية من بنية سطحية وإيقاعية وعميقة.

إن منهج "**لوسيان غولدمان**" هو أول منهج أثر في تنظيرات العرب للشعر، وقد خصص للنقد البنيوي وتطبيقاته مساحة واسعة إذ استأنس **محمد بنيس** في مشروعه النقدي بالمنهج البنيوي الذي يعتمد على مجموعة من النظريات اللسانية واستيعاب أفكار البنيوي **غولدمان** فقد حاولت "أن ارتبط بالقراءات التي تؤلف بين داخل المتن وخارجه مستفيداً من البنيوية في الكشف عن قوانين البنيات الدالة، و من المادية التاريخية الجدلية في تفسيرها لطبيعة هذه البنيات ووظيفتها الجمالية"[36]، و قد كرس مجموعة من المفاهيم التي تبناها **لوسيان غولدمان** مثل التماثل البنائي والتناظريين بنية العمل الذي هو بنية سطحية والبنية الذهنية للطبقة الاجتماعية التي هي دراسة خارجية في بنية عميقة هذا التصور الغولدماني لا يتعرض للجانب اللغوي من مفردات وأصوات في بنيتها الجزئية[37] **فلوسيان غولدمان** كان الأكثر إلهاما لـ**محمد بنيس** وهو يتبنى المنهج البنيوية التكوينية فقد مهّد به مسار قراءة الشعر العربي الحديث[38]، هذا التصور الذي يتميز بثلاث خصائص هي التعبيرية والتجديد والخصيصة الثقافية.

كما أنصت **محمد بنيس** –وهو يتحدث عن المعرفة –إلى **رولان بارث** ليكون عنده مرجعاً من أهم المراجع التي تأثر بها في النقد، فالنقد **عند بارث** اتصف بالتعددية والنظر البعيد، لهذا نجد **محمد بنيس** يستنطق ويقرأ النصوص انطلاقاً من التصور الذي رسمه **بارث** في تداخل الأدب مع المعرفة مع العلم أن المعرفة في أصلها لابد أن تعالج الأدب، وهذه المعرفة بهذا المفهوم "نتج خصيصة الممارسة الأدبية بمجملها قراءة وكتابة"[39] كما أخذ عن **إمبرتو إيكو** مفهومي العتبة العليا والعتبة السفلى وهذا للتمييز بين "كائن البنية وممكنها ويسمع للتاريخ أن يكون مقروءاً في الخصيصة النصية"[40]، ليكون **البارودي** ممثل التقليدية وهو يمثل العتبة السفلى كما اعتمد على ما جاء به **جان كوهن** في الحديث عن بنية اللغة الشعرية وفي الإنزياح والخروج عن المألوف.

أعجب **محمد بنيس** بالمنهج الغربي، فالنقد العربي الحديث انتمى إلى الاتجاهات النقدية الغربية أكثر من انتمائه إلى النقد العربي التراثي، **فمحمد بنيس** أخذ مصطلح التناص من الناقدة **جوليا كرستيفا** ووظفه بمصطلح مغاير وهو "التداخل النصي" جاعلاً النص شبكة تلتقي فيها عدة نصوص، فالنص هو إعادة كتابة لنصوص أخرى لا حصر لها"[41] هذا التداخل النصي الحديث عندما يتداخل نص حاضر مع نصوص سابقة غائبة يستمد هذا النص الحاضر منه مقوماته وحياته، فالغائب يهاجر إلى النص الحاضر [42]، فتداخل العلاقات من نص إلى آخر.

مالت الممارسة النقدية عند **محمد بنيس** إلى المناهج الغربية فاستعار وأوفد الكثير من مفاهيم الشعرية الغربية، ومن المصطلحات النقدية التي استلهمها نجد كذلك مصطلح الانزياح، والذي اعتبره مصطلحاً حداثياً بني على توجه فلسفي سعى إلى تجاوز التوجه التقليدي الذي لم يعد قادراً على الوجود و إثبات الذات، فالفكر والأدب والحياة تخضع للتجاوز والتحول وهو ما أكد عليه **هيغل** الذي بنى فلسفته اعتمـــاداً على التحـول والتجاوز، لأن فهم كل واقعة يجب وضعها في إطار الصيرورة التاريخية و"كل ظاهرة مهما كانت طبيعتها تخضع لنظام زمني ولفهمها لابد من إخضاعها للصيرورة التاريخية المتغيرة و المتصاعدة نحو غايتها"[43] فالتجاوز والخروج عن المألوف والانزياح هي فرضيات لانتقال الشعر العربي في عصره الحديث من بنية إلى أخرى دلالات قوية في سياق قراءة تاريخ الشعر العربي من قدامة إلى فكر الحداثة المعاصرة"[44].

تجلى المفهوم الأوربي في الكتابة النقدية العربية وأصبح مرجعاً ضرورياً وحلقة مهمة، وقد ساهمت المرجعية الماركسية في إثراء فكر **محمد بنيس**؛ إذ منحته الماركسية "جسارة معرفية تصلني إلى الهجوم على المخابئ المريضة ونزع أسـلاك أفق الخطوة... والانتشار في ألف العقل الجماعي، بقدر ما تحولت بعد مـدة اختبار ليست بالطويلة ومن خلال العيش في العلائق المتشعبة"[45]، فارتباطه بالماركسية هو ارتباط بالواقع الاجتماعي والحياة اليومية التي تخضع للتطور والتغيير وتجسيد لوعي تاريخي له إستراتيجيته وإجراءاته في التعامل مع النصوص الإبداعية التي ساهم بها **محمد بنيس** ليعبر عن حريته وعلاقته بالماركسية.[46]

خاتمة:

لقد استفاد **محمد بنيس** من الآليات و الأدوات الإجرائية التي وظفتها المناهج النقدية الغربية، وحاول تطعيم النقد العربي الحديث بها وإن كان التداخل بقصد أو بغير قصد بين النقد العربي والنقد الغربي فإن الناقد **محمد بنيس** كان حذرا في التعامل مع تلك الآليات في فحص العمل الأدبي، و ما جاء به النقد الغربي لا يتنافى مع ما كان عند العرب القدامى، فنظرية الشعرية ما هي إلا نظرية المعنى وعمود الشعر والعروض والتي التقى فيها النقاد العرب القدامى مع النقاد الغربيين والتي كان الهدف من هذه النظريات هي الوصول إلى الجمالية والقيم الشعرية ليجد **محمد بنيس** نفسه في النقد نفسه رهينة بين فكرين فكر عربي تقليدي يريد محاصرتنا بالتراث وفكر غربي يدفعه إلى استلهام الآراء النقدية الغربية، ونحن نعترف أنه لا يمكن بناء زاوية نقدية أو نظرية ما لم نحاول فهم القديم، ولا يتم لنا ذلك إلا إذا نظرنا إليه بعيون معاصرة بوعي مشكلات الحاضر ومطالبه، فالشعر العربي الحديث من الصعب قراءته في غياب معرفته بالشعريات القديمة؛ لأنها تناولت قضايا مهمة لا تزال مؤثرة في الشعر العربي الحديث، كما يجب أيضاً أن تأخذ من الشعريات الغربية وتستلهم من المناهج النقدية الحديثة مـن **بودلير** و**مالارميه** و**هلدرلين** وغيرهم.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن طباطبا، عيار الشعر، دار الكتب العلمية، 2010.

- أنور عبد الحميد الموسى، علم الاجتماع الأدبي منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد، دار النهضة، بيروت، 2011.
- أنور عبد الحميد الموسي، علم الاجتماع الأدبي، منهج سوسيولوجي في القراءة و النقد، دار النهضة العربية، بيروت، 2011.
- إياد عبد المجيد إبراهيم، آليات القراءة في نقد الشعر، دار هماليل، الإمارات، 2005.
- حسين خمري، بنية الخطاب النقدي، بغداد، ط 01، 1990.
- محمد بنيس، أدب المغرب، مجلة EUROPE، باريس، ع 1015، نوفمبر 2013.
- سعد الدين كليب، وعي الحداثة: دراسة جمالية في الحداثة الشعرية، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، 2016.
- سعد البازعي وميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2000.
- طراد الكبيسي، في الشعرية العربية، قراءة جديدة في نظرية قديمة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.
- عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومه، الجزائر، 2007.
- عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، فكرة السرقات الأدبية و نظرية التناص، مجلة علامات في النقد الأدبي، مج 1، النادي الأدبي، جدة، 1991.
- عبد النبي أصطيف، في النقد الأدبي العربي الحديث، منشورات دمشق، ط 03، ج1، 2003.
- محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته و ابدالاتها، التقليدية، دار توبقال، المغرب ، ط 2، 1996.
- محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته و ابدالاتها، مساءلة الحداثة، دار توبقال، المغرب، ط1، 2004.
- محمد بنيس، بيان الكتابة، الثقافة العربية الحديثة، الثقافة العربية الحديثة، المغرب، ط2، 2012.
- محمد بنيس، حداثة السؤال، المركز الثقافي العربي، المغرب، (د.ت)، 1992.
- محمد بنيس، أدونيس و مغامرة الكتابة، مجلة فصول، دار الساقي، ج 01، لبنان، ط01، 1995.
- محمد بنيس، الحداثة المعطوبة، دار توبقال، الدار البيضاء، ط2، 2004.
- محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته و ابدالاتها، الرومانسية، دار توبقال، المغرب، 2001.
- محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، الشعر المعاصر، دار تويقال، المغرب، ط 2، 1992.
- محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب – مقارنة بنيوية تكوينية–، دار العودة، بيروت، 2014.
- محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص و جماليات التلقي بين المذاهب الغربية وتراثنا النقدي، دار الفكر العربي، مصر، 1996.
- يمني العيد، في معرفة النص، دار الأفاق الجديد، بيروت، ط3، 1985.

الهوامش والإحالات:

[1] أنور عبد الحميد الموسي، علم الاجتماع الأدبي، منهج سوسيولوجي في القراءة و النقد، دار النهضة العربية، بيروت، 2011، ص 153.

[2] ينظر: محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، الشعر المعاصر، دار تويقال، المغرب، ط 2، 1992، ص 40.

[3] محمد بنيس: الشعر العربي الحديث بنياته و ابدالاتها، مساءلة الحداثة، دار توبقال، المغرب، ط1، 2004، ص 20.

[4] المرجع نفسه، ص 19- 20.

[5] ينظر:حسين خمري: بنية الخطاب النقدي، بغداد، ط 01، 1990، ص 64.

[6] محمد بنيس:الشعر العربي الحديث بنياته و ابدالاتها، التقليدية، دار توبقال، المغرب، ط2، 1996، ص 60.

[7] محمد بنيس: بيان الكتابة، الثقافة العربية الحديثة، الثقافة العربية الحديثة، المغرب، ط2، 2012، ص 52.

[8] محمد بنيس: الشعر العربي الحديث بنياته و ابدالاتها، التقليدية،دار توبقال ، المغرب ،ط2،1996، ص 12.

[9] ينظر سعد الدين كليب، وعي الحداثة :دراسة جمالية في الحداثة الشعرية، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، 1997، ص 24.

[10] محمد بنيس: الشعر العربي الحديث بنياته و ابدالاتها، الشعر المعاصر، ص 135.

[11] المرجع نفسه، ص 182.

[12] عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومه، الجزائر، 2007، ص 188.

[13] محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته و ابدالاتها، الشعر المعاصر، ص 182.

[14] عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، فكرة السرقات الأدبية و نظريةالتناص، مجلة علامات في النقد الأدبي، مج 1، النادي الأدبي، جدة، 1991، ص 84.

[15] طراد الكبيسي، في الشعرية العربية، قراءة جديدة في نظرية قديمة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص 20.

[16] القرطاجني أبو الحسن حازم بن محمد بن الحسن، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 354.

[17] محمد بنيس،الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته، التقليدية، ص 124.

[18]- المرجع نفسه، ص 180.

[19] ابن طباطبا، عيار الشعر، ص 51.

[20] محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص و جماليات التلقي بين المذاهب الغربية وتراثنا النقدي، دار الفكر العربي ، نضر، ط1، 1996،ص 99.

[21] محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته و ابدالاتها، الرومانسية،دار توبقال، المغرب، ط،2،2001،ص 50.

[22] محمد بنيس،الشعر العربي الحديث بنياته و ابدالاتها، مساءلة الحداثة ، ص 68.

[23] محمد بنيس،الشعر العربي الحديث بنياتهو ابدالاتها، الشعر المعاصر، ص 20.

[24] محمد بنيس،الشعر العربي الحديث بنياته و ابدالاتها، مساءلة الحداثة، ص 69.

[25] محمد بنيس،الشعر العربي الحديث بنياتهو ابدالاتها، التقليدية، ص 69.

[26] المرجع نفسه، ص 257

[27] محمد بنيس،الشعر العربي الحديث بنياتهو ابدالاتها، الشعر المعاصر، ص 59.

[28] محمد بنيس، أدونيس و مغامرة الكتابة، مجلة فصول، دار الساقي، ط01، ج 01، لبنان، 1995، ص 257.

[29] محمد بنيس،الشعر العربي الحديث بنياته و ابدالاتها، مساءلة الحداثة، ص 62.

[30] محمد بنيس، الحداثة المعطوبة، دار توبقال، الدار البيضاء، ط2، 2004، ص 67.

[31] محمد بنيس: أدب المغرب، مجلة EUROPE، باريس، ع 1015، نوفمبر 2013، ص 12.

[32] عبد النبي أصطيف: في النقد الأدبي العربي الحديث، منشورات دمشق، ط 03، ج1، 2003، ص 98.

[33] أنور عبد الحميد الموسى، علم الاجتماع الأدبي منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد، دار النهضة، بيروت، 2011، ص 153.

[34] إياد عبد المجيد إبراهيم، آليات القراءة في نقد الشعر، دار هماليل، الإمارات، 2005، ص 27.

[35] أنور عبد الحميد الموسى: علم الاجتماع الأدبي منهج سوسيولوجي في القراءة والنقدص 153.

[36] محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب – مقارنة بنيوية تكوينية–، دار العودة، بيروت، (د.ت)، ص 11.

[37] ينظر يمني العيد، في معرفة النص، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1985، ص 136.

[38] ينظر سعد البازعي وميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2000، ص 81.

[39] محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته و ابدالاتها، التقليدية، ص 60.

[40] المرجع نفسه، ص 38.

[41] محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقارنة بنيوية تكوينية، ص 251.

[42] محمد بنيس: حداثة السؤال، المركز الثقافي العربي، المغرب، (د.ت)، 1992، ص 66.

[43] محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، مساءلة الحداثة، ص 63.

[44] المرجع نفسه، ص 62.

[45] المرجع نفسه، ص 40.

[46] محمد بنيس، حداثة السؤال، ص 37.